

تراجع تلقي اللغات الأجنبية لدى طلبة الأدب العربي

* ط/د. أمينة أونيس

البريد الإلكتروني: amina.ounis@univ-biskra.dz

مخبر وحدة التكوين والبحث في نظرية القراءة ومناهجها كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة.

الملخص:

يتناول هذا المقال دراسة حول مشكلة عزوف طلبة الأدب العربي عن القراءة باللغات الأجنبية، وكذا الامتناع عن تعلّمها بالرغم من حاجتهم الماسة لها، في ظل وجود مقاييس تستدعي منهم معرفة اللغات وقراءة بعض التفاصيل باللغة الأجنبية الأم، فيسدّ الطالب نقصه هذا من خلال مواقع الانترنت التي تستدعي منه الوعي و الذكاء في اختيار المادة المعرفية.

الكلمات المفتاحية:

اللغة، القراءة، التفاعل.

Résumé :

Cet article traite de la problématique de la réticence des étudiants des lettres arabes...de lire en langues étrangères. Ainsi que le refus de les apprendre malgré qu'ils en aient **fortement besoin** , surtout qu'il existe des modules qui exigent la connaissance des langues de la part de l'étudiant ainsi que la lecture de quelques détails en langue étrangère. Pour combler son manque l'étudiant des sites internet qui lui exigent de la conscience et de l'intelligence en choisissant l'ensemble de ses connaissances.

Les mots clés :

La langue, la lecture, l'interaction.

يَشهد العالم قفزات نوعية على جميع الأصعدة الحياتية، بفضل التطوّرات التكنولوجية التي تسهل حركة الإنسان، وتختزل الكثير من وقته، وانعكس هذا التطور على أساليب التّعلم والتعليم، فأصبح هو الآخر يركّز على تقنيات الوسائط المتعددة (Multi-Media)⁽¹⁾، التي أصبحت تجاري تقنيات التعليم القديمة، خاصة و أننا في عصر السرعة، و الطالب الجامعي يبحث عن الأسرع في تلقينه أي علم من العلوم و خاصة علم اللغات (Linguistic)⁽²⁾.

تعتبر اللغة العربية اللغة الرسمية في الجزائر، كما أنّها لغة القرآن الكريم، إلّا أنّ وجود اللغة الفرنسية كلغة ثانية وظيفية مصاحبة أحيانا للغة العربية ومنفردة أحيانا أخرى بوظائف في عدّة مجالات أمر ظاهر لأنّ « النصوص و المراسلات الرسمية تحرر أكثر فأكثر بالفرنسية، وإذا وجدت صيغة معربة لها فإنّها غالبا ما تكتب بلغة ركيكة غير مفهومة ومن أمثلة هذه الظاهرة أيضا أنّ كل المواد العلمية و التقنية تُدرّس بالفرنسية»⁽³⁾، خاصة في التعليم الجامعي.

كما استطاعت اللغة الانجليزية أن تكتسب صفة العالمية وأن تُدرّس في جميع دول العالم لأنّ الحاجة إلى اللغات الأجنبية طرحت نفسها في هذا العصر ومن المستحيل أن نعيش في معزل عن الشعوب الأخرى، فالإفادة والاستفادة واجبة، من أجل نشر و التعرف على المكونات الحضارية للعالم أجمع، و كذا القراءة من أجل اكتساب المهارات اللغوية، ومن أجل التواصل المثمر.

✓ ما هي الصعوبات التي تواجه طلبة الأدب العربي في تعلّم اللغات الأجنبية؟ وكيف نستطيع أن نتخطى هذه المشكلة من أجل بناء جيل قارئ متفتح لغويا؟

يُعاني طلبة الأدب العربي-عموما- من تدني اكتساب مهارات قراءة وكتابة ونطق اللغات الأجنبية (الفرنسية و الإنجليزية) بطريقة علمية صحيحة ومتقنة حسب القواعد والتركيب والتصريف وغيرها من دعائم أي لغة، يعود ذلك إلى عزوفهم عن تعلّمها منذ مرحلة البكالوريا أو عن عدم تلقينها بالشكل الصحيح منذ المراحل الابتدائية، كما قد يكون الخلل من الطالب في ضعف استيعابه و إصابته بعسر القراءة و غيرها من الاضطرابات اللغوية والسيكولوجية، أو قد تكون العلة في ضعف نجاعة طريقة الأستاذ الملقن.

فبعد أن تجاوز الطالب مراحل التعليم الثلاث المعروفة في الجزائر (الابتدائي، المتوسط الثانوي) يجد نفسه في المرحلة الجامعية، إلّا أنّ فكره غير متنام لغويا، خاصة إن كان طالب أدب عربي أو طالب علوم إنسانية أو غيرها من الفروع التي تُعَيَّبُ فيها برمجة حصص اللغات وإن أُدرجت فتُدرج بمعدل الحصّة الواحدة فقط في الأسبوع.

يسعى الطالب الجامعي لتغطية هذا النقص بالاستعانة بالمواقع الالكترونية من أجل فك غموض دلالات النصوص التي تعترضه أثناء بحثه، لأنّ مقاييس الأدب تقتضي التنوع وتجاوز العربي إلى الأجنبي، مثل مادتي: الآداب العالمية والأدب المقارن، فالطالب مجبر على أن يبحث في هذه الميادين من أجل الاستفادة وتعميق الرؤى ولأنّ الكتب المترجمة المتعلقة بهذه المواد قليلة أو يتهاافت عليها الباحثون في المكتبة، فيتكاسل الطالب في البحث عنها و الاجتهاد في إحضارها من مكتبات و روافد أخرى.

يلجأ الطالب إلى شبكة الانترنت من أجل تحميل نسخ الملاحم والروايات والمسرحيات و القصص الأجنبية و كذا الجانب التنظيري منها، فيقع في مطب آخر ألا وهو ندرة المدونات

المتجمة فمن النادر أن يُحضر المدونة بلغتها الأم ليقينه عدم تمكّنه من قراءتها في مدّة قصيرة فيكتفي بملخص وبعض الشذرات المترامية في بعض المنتديات، فنحن الآن أمام معضلتين:

✓ سطوة العالم الرقمي على تفكير وتوجه الطلبة.

✓ عدم تمكن الطلبة من اللغات الأجنبية.

تقوم الشبكة العنكبوتية بتيسير عملية القراءة بطريقة آنية - مؤقتة غير دائمة - بيد أن الطالب غالبا يأخذ المعلومة أو الكلمة المترجمة دون أن يشبّتها في ذاكرته لأنّه لم يقصد بها العلم الدائم و إنما فقط لجأ إليها من أجل حل واجب أو اجتياز امتحان ما لأن « القراءة الفعّالة تتطلب سلسلة منطقية من أنماط التفكير، و أنماط التفكير هذه تحتاج إلى ممارسة وتمارين لتثبيتها في العقل» ⁽⁴⁾ فهي مصدر للمعرفة خاصة و إن استطاعت أن تأخذ بفكر المتلقي و توصله إلى أرقى درجات النضج الفكري و تنمي فيه حب التطلع والرغبة في قراءة المزيد دون توقف « وهذا يشكل العبء الأكبر في تصميم و بناء المناهج الدراسية التي تهدف إلى بناء شخصية المعلم، من خلال الحوار المنطقي الحميم بين الطالب والكتاب وصولا إلى حالة من الإخصاب الفكري بكافة أشكاله» ⁽⁵⁾.

لهذا فالقراءة هي « ترجمة لمجموعة من الرموز ذات العلاقة فيما بينها والمرتبطة بدلالات معلوماتية معينة، وهي عملية تفكير متكاملة و ليست مجرد تمرين في حركات العين» ⁽⁶⁾.

تتحقق القراءة الواعية بفضل فعل التعلّم الذي يلازم الإنسان منذ أولى مراحل حياته باعتبارها وسيلة تواصلية، فتتنوع سُبل التعلّم التي غدت طرقها ماثلة خارج الجامعات والمدارس بفضل الوسائط التعليمية وأفضية الانترنت المتاحة للجميع لهذا « لم تعد العملية التعليمية مصدرية وسلطوية، بل اكتسبت طابع الاختيار و الانتقاء و الحرية. فضلا عن العملية التفاعلية القائمة بين المرسل و المستقبل» ⁽⁷⁾، فتحقق الرغبة و الإرادة داخل نفسية

طالب العلم في تعلم أيّ لغة أجنبية دخيلة يعد شوطا عظيما لأنّ المادة المعرفية مطروحة في العديد من السياقات و ليس بالضرورة خضوعها لسياق ييداغوجي معين.

يواجه طالب الأدب العربي مشكلة معضلات في القراءة بلغة غير لغته الأم بالرغم من أنه اطلع عليها في سنوات تعليمه الأولى، تعود حواجز القراءة إلى صعوبة النصوص الأجنبية أو غناها بمصطلحات علم اللغة التي لا يستطيع فهمها إلا المختص و المتمكن، لكن القراءة ضرورية جدا لأي فرد في أي مرحلة من مراحل حياته فلها « مهارات متدرجة مطلوب تنميتها عند الإنسان للوصول إلى مستوى متقدم منها، تبدأ بالقراءة المتعجلة (Skimming Reading) ثمّ القراءة الانتقالية (Skipping Reading) و أخيرا القراءة المتعلقة (In Depth Reading)»⁽⁸⁾، و لا تحقق هذه المراحل إلّا إذا كان القارئ على دراية تامة بمصطلحات و معاني اللغة التي اختارها من أجل بناء رؤاه و تنمية معارفه نحو هدف التحصيل العلمي.

فمن الضروري العناية بلغتنا الأم بل لا بد من إعطائها المساحة الأكبر في الفهم والتفسير والتحليل والدراسة، ولابد من تبيين دورها و الدعوة إلى إتقانها و التمرس في بحارها الواسعة و في نفس الوقت نُشيد « بالدور الإيجابي للغات الأخرى، سواء ارتبطت بالهوية، أم لم ترتبط، إنّ من شأن ذلك أن يمكننا، أولا من خلق المناخ المناسب لتعلم اللغات والاستعمال السليم للأدوات التعبيرية و أدوات التمكن من المعارف و المعلومات، و يمكننا أيضا من خوض نقاش التوازنات اللغوية بكيفية أكثر اتزاناً»⁽⁹⁾، فتعلم اللغات الأجنبية يقي المرء شر الوقوع في الكثير من المواقف المخرجة كما جاء في الأثر " من تعلم لغة قوم أمن شرهم".

• صعوبات تعلم اللغات الأجنبية:

تشكل صعوبات تعلم اللغات الأجنبية حاجسا يورق الأساتذة والطلاب، وذلك لارتباطها بمختلف العلوم و المعارف الحديثة، كالإعلام الآلي؛ الذي استطاع أن يسطو على لغة العصر، و يتركز على معظم المهام داخل المؤسسات التربوية و الشركات العمومية وغيرها..

تشارك اللغة الفرنسية والانجليزية في مجموعة من الصعوبات، يمكن أن نلخصها في:

- غياب الاستعداد النفسي والذهني للطلاب لتلقي مواد أخرى إضافة إلى تخصصه الأصلي.
- تجاهل التواصل باللغات الرسمية بين أفراد قسم الأدب العربي، سواء أكان هذا التواصل باللغة العربية أو بالأجنبيتين (الفرنسية و الانجليزية)، على عكس الأقسام الأخرى التي نجد طلبتها و عمالها يتحدثون بما يمليه عليهم اختصاصهم بغية تنمية مهارة الاتصال، بدء بالألفاظ البسيطة من أجل تطويع اللسان على اكتساب اللغة وصولا عبر مراحل التعليم إلى الإتقان التام لها.
- عدم وجود المدرس المؤهل الذي ينتج أجيالا مكونة تكوينا سليما.
- تقليل الحجم الساعي لدراسة اللغات على مستوى قسم الأدب العربي، من ساعة ونصف إلى ثلاث ساعات أسبوعيا كحد أقصى.
- ضعف المناهج الدراسية، وعدم معرفة أساليب تلقين مبادئ اللغات للطلبة المبتدئين؛ إذ لا يراعي المعلم التدرج المنطقي لسير الدروس الذي يبتدئ عادة من القاعدة.
- تعتمد البرامج التعليمية غالبا على الكم لا على الكيف، فيكون البرنامج مكثفا على مدار السنة وتكون حصيلته ضعيفة.

- عدم تزويد المؤسسات التعليمية بوسائل التعليم الحديثة، والتقنيات الرقمية التي تتمتع بها الدول المتطورة، التي تعتمد غالبا على الصور والفيديوهات و كذا الأصوات التي تُرْسَخُ في ذهنية المتعلم أكثر من المادة المكتوبة.
- البداية المتأخرة لتدريس اللغة الفرنسية و اللغة الانجليزية في المدارس الجزائرية، لأن ذهنية المتعلم تكون أكثر صفاء و هو مرحلة تعليمية جد مبكرة؛ إذ يكون ذهنه أكثر قابلية للاستيعاب و للتذكر.
- انتماء اللغة العربية إلى عائلة تختلف تماما عن عائلات اللغة الفرنسية واللغة الانجليزية، سواء في شكل الحروف أو معاني الكلمات المتشابهة في النطق، كما نلاحظ أيضا أن هناك أصوات في اللغة العربية غير موجودة في بقية اللغات و العكس.
- عدم التفريق بين المذكر و المؤنث في اللغتين الانجليزية و في اللغة الفرنسية الذي يبدأ من اثنين.
- يعتقد الطلاب أن المواد المتعلقة باللغات هي مواد عادية غير أساسية، ليست لها أهمية في المستقبل عدا مسألة النجاح و الرسوب في الامتحان.
- غياب الوعي بتعلّم اللغات لأنّ البيئة العربية ليست بيئتها الأصلية.
- يلجأ الطلاب في تعلّم اللغات إلى تقنية الحفظ، وهذه الطريقة خاطئة لأنّ اللغات تُفهم بالأساس، وتستمر بفعل التداول و الممارسة.
- رَكَزَت خطوط البحث العريضة على اللّغة الانجليزية باعتبارها لغة العصر و اللغة العالمية، و اللغة الفرنسية كونها اللغة الرسمية الأولى في الجزائر و التي يصلنا منها أكبر عدد من المكتوب سواء: معاملات، وثائق، روايات، كتب وغيرها، بيد أن تعلّم اللغات مختلف يظل مفتوحا أمام جمهور القراء المتطلعين للاعتراف من ينابيع المعرفة.

• الحلول المقترحة:

يساهم الاطلاع على اللغات في الحصول على المعلومة بشكل أسرع وأدق وأوسع وتعلّم اللغات يساعد على تقوية الذاكرة وفتح آفاق جديدة للتفكير، و قد ارتأى البحث تقديم مجموعة من الطرق و الحلول التي تساهم في نشر ثقافة اكتساب اللغات و تعلمها انطلاقا من تجربة التدريس في المرحلة الجامعية بما يلي:

✓ بداية تدريس اللغة في سن مبكرة: من المناسب جداً تعليم التلميذ مبادئ اللغات الأساسية و هو في طوره الأول من التعليم (التحضيرى و الابتدائى)، لأن ذهن الطفل يكون في هذه المرحلة قادر تماما و متحمس لاستقبال أكبر عدد من المعارف، كما أن تعلّم لغتين في هذه المرحلة يدعم المرونة المعرفية و يجعله يعبر عن أفكاره بطرق مختلفة.

✓ تقول "جانيس يالدين": مازال مدرسو اللغة الانجليزية كلغة ثانية، معتادين بصورة عامة على التفكير في طريقة التدريس أكثر من التفكير في تصميم البرنامج الدراسي، فالمدرس غالبا يسعى لتلقن الطالب قواعد اللغة و مبادئها دون أن يوظف هذه الأساسيات بشكل آخر متحرر يسمح للطالب بالحوية و الحركية و الإبداع وفق الطرق والتقنيات المتوفرة⁽¹⁰⁾.

✓ تكوين مجموعات قرائية، على أن تتفق مجموعة من الطلبة الراغبين في تكوين أنفسهم تكوينا جديا بالاجتماع و طرح موضوعات مختلفة، بهدف التناقل باللغة الأجنبية التي يريدون تعلّمها، فتتعاون المجموعة في تكوين الأفكار و تصحيح الكلمات الخاطئة وتنظيم برنامج محكم يبدأ من أبجديات اللغة صعودا إلى مستويات الصرف والتركيب وصولا إلى إتقان اللغة و تكلمها بالشكل الصحيح.

✓ الاحتكاك بطلبة فروع التخصصات العلمية أو طلبة فروع الآداب الأجنبية، لأنّ التمكن يعود إلى أهل الاختصاص لإحاطتهم بكلّ ميكانيزمات اللغة.

- ✓ توفير مدرسين أكفاء على مستوى عال من الخبرة والتجربة، على أن يكون المنهج المستخدم سهلاً وبسيطاً ومشوقاً ومحققاً لأهداف تعلم اللغة.
- ✓ ينبغي على واضعي المنهج اللغات الأجنبية الأخذ في الاعتبار قرب أو بعد اللغة الأجنبية من اللغة الأم لأنه أمر في غاية الأهمية.
- ✓ تعد عملية التذكر ضرورية في تعلم اللغة، أما الإعادة والتكرار للنصوص فيساعد المتعلم على التعبير باللغة الأجنبية.
- ✓ أن يكون تعلم اللغة من مفردات الواقع و من البيئة الحياتية ليسهل تعلمها.
- ✓ تخصيص زمن كاف مع تحديد فترات أطول للمحادثة والحوار لأهمية ذلك بالنسبة لتعلم اللغة.
- ✓ تزويد الأقسام بالمعدات والمعينات التربوية والوسائل التعليمية لتطوير تعليم وتعلم الفرنسية والنهوض بمستوى الطالب.
- ✓ إيجاد مساحة للأنشطة التعليمية الفاعلة المساعدة والمشوقة للتعلم، مع الأخذ في الاعتبار الأهداف الرسمية لتعلم الفرنسية.
- ✓ الاستعانة بالمواقع الهادفة لتدريس اللغات على الإنترنت.

يكفي أن نقول أن هذا الموضوع متضمن ضمن فرع علم اللغة التطبيقي، الذي يسعى بطرق ثابتة إلى تعليم اللغات الأجنبية، وما سعينا إلا لتوجيه الطلبة إلى تلقين هذه اللغات سواء بالالتحاق بمعاهد ومراكز معينة أو التعليم الذاتي الفردي انطلاقاً من القراءة العادية وصولاً إلى القراءة الإبداعية التفاعلية، وإنّ الدخول في مرحلة تعدد لغات التدريس وتنويعها، مع إجبارية تعليم اللغة العربية وإتقانها بالشكل الصحيح، سيدفع بالتعليم إلى إصلاح فعلي يتحاشى الأخطاء السابقة و يتجاوز الوضع الحالي، و يسقط الامتياز الاعتباري المبني على

الاحتكار اللغوي، ويسهل التواصل بين اللغات والثقافات المتنوعة، تمهيدا لمجتمع جزائري موحد في التنوع، ومبني على المعرفة و التواصل و التكامل والتعاون.

الهوامش:

- 1- وهي وسائط متعددة على صعيد تكنولوجيا المعلومات مثل أرضا خصبة لدراسة العلاقة بين اللغة وفنون الشكل و الموسيقى و كيف تترج هذه الأنساق الرمزية مع بعضها البعض و أثر هذا الامتزاج في المتلقي، انما وسائط علمية تكنولوجية لعصر المعلومات، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية (عربي/انجليزي)، كتاب الكتروني على الموقع: www.kotobarabia.com، ص: 564.
- 2- هو العلم الذي يتخذ اللغة موضوعا لدراسته كنسق مستقل متطور، و يدرس طبيعة اللغة في ذاتها، وأصواتها الملفوظة (Phonology)، و اصواتها المسموعة (Phonotics)، و أبنيته (Structure)، و قواعدها (Syntax)، إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية، ص: 354.
- 3- عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة و البيئة، منشورات الزمن، الرباط، دط، 2003، ص: 10.
- 4- بيتر شيفرد، جريجوي ميتشل، القراءة الذكية، ت: أحمد هوشان، كتاب الكتروني، ط1، 2006، ص: 11-12.
- 5- محمد زردومي، معنى التعلم وإشكاليات العليم في ظل التحديات المحلية و الرهانات المستقبلية، المتلقى الوطني الأول حول تعليمية المواد في النظام الجامعي، مخبر تطوير الممارسات النفسية و الربوية، جامعة الجزائر، أفريل 2010. ص: 26.
- 6- بيتر شيفرد، جريجوي ميتشل، القراءة الذكية، ص: 11.
- 7- محمد زردومي، معنى التعلم و إشكاليات التعليم في ظل التحديات المحلية والرهانات المستقبلية، ص: 26.
- 8- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، الموسوعة الاقتصادية والاجتماعية، ص: 389-390.
- 9- عبد القادر الفاسي الفهري، اللغة و البيئة، ص: 12.
- 10- ينظر: نايف خرما و علي حجاج، اللغات الأجنبية تعليمها و تعلمها، سلسلة عالم المعرفة، ع: 126، 1988، ص: 186-187.